للشاعر التركي الشهير المرحوم نامق كمال بك

عهد الفتح

وقائع عصرين جرت بملتقي قارتين

نقلها الى اللغة العربية وعلق عليها بنبذ علمية وفوائد تاريخية

عبد العزيز امين أفندى الخانجي

الملتزم

محمد على عطيه

مطبعة محمود توفيق

صحيفة الشكر الخالد

لصاحب السعادة الاستاذ الجليل أحمد زكى باشا

و

لصاحب العزة الشاعر المجيد نور الدين بك مصطفى

فقد أمدانى برعايتيهما وعاوناني بعنايتيهما على كثير من المعلومات التاريخية والأدبية المدونة فى هذه الرسالة

كلمة للمعرب

أحمدك اللهم وأستعين بك وأصلي وأسلم على محمد نبيك ورسولك .

وبعد اشتهر (نامق كمال بك) أشهر شعراء الاتراك واكتب كتابهم ببيانه السحري وأفكاره الرائقة وعواطفه النبيلة وجهاده المتواصل فى سبيل الحرية ، وله باللغة التركية رسائل وروايات خالدة طبعت طبعات عديدة ونقل بعضها الى اللغات الأجنبية . من بين هذه الرسائل . رسالة صغيرة كتبها المرحوم فى إبان صباه وسماها (دوراستيلا) أي عهد الفتح ، ضمنها ملخص تاريخ الاتراك منذ أوائل حكم عثمان حتى آخر أيام السلطان سليمان القانوني .

وقد أراد سيدى وأستاذى ، سعادة الاستاذ المحقق أحمد زكى باشا ، عميد أهل التاريخ والأدب وزعيم العاملين على ترقية لغة العرب ، تشجيعى وتنشيطى فى الترجمة والتعريب ، فامرني بنقل الرسالة الى اللغة العربية لتضم الى كتب خزانته الزكية ، أدامها

الله عامرة بوجوده ، وعند ماتم تعريبها أعارها نظر التهذيب وأجال فيها قلم الاصلاح ، بجبر كسرها ورتق فتقها والحق بها ما يرقع خروقها ، ثم رأيت بعد ذلك أن فى اخراج الرسالة الى أبناء قومي فى ثوبها العربي خدمة لهم ، فعزمت على نشرها مع مقدمة تحليلية طويلة عن تاريخ نامق كمال . الا أن قلة المصادر التي بين يدى الآن حالت دون ذلك ؟ فأرجأت ذلك الي حين اصدار رواية (ساعة الندم) وهي التى ألفها المرحوم كمال ونشرها باسم (انتباه) مكتفيا بالترجمة الواردة فى مجلة الهلال فى العدد الخامس من السنة الخامسة لانى وجدتها أوفى التراجم الموجودة أمامي ، ثم ذيلت ترجمة حياة المؤلف بنبذة من آثاره العلمية مترجما عن اللغة التركية .

يرجع الفضل فى كتابة هذا الفصل لصاحب العزة نور الدين بك مصطفي الشاعر التركي البليغ فقد تفضل أبقاه الله وأعارنى بعض آثار المرحوم من مكتبته العامرة وزاد الفضل بأن نقل احدى قصائد نامق بك كمال الى اللغة العربية نظما سننشرها في الكتاب

التالى ان شاء الله تعالى مع الشكر الزائد لمزته . وفى مأمولي أن يكون من وراء هذا الصنيع الفائدة التى أنشدها وهي الوساطة في تمكين المعرفة بين الأدب العربى والأدب التركي والله هو المستعان على تحقيق الغايات عبد العزيز الخانجي



ترجمة حياة محمد نامق كمال بك

نقلا عن مجلة الهلال عدد ٥ السنة الخامسة وهي مخلص من رسالة كتبها أبوا الضياء توفيق بك، صديق صباه

ولد كمال بك في قصبة (تكفور طاغ) (١) سنة ١٢٥٦ ﻫ وكان جده (أبو أمه) محصلا هنالك والمحصل لقب لمنصب قديم في الدولة يقابله في الفرنساوية Percepteur فأرخ عارف أفندي أحد شعراء تلك الايام مولده بهذا الشطر من البيت « ايردي شرف بو دهره محمد كمال ايله » ومعناه بالعربية « قد تشرف هذا الدهر بمولد محمد كمال »

وقد تسلسل كمال بك من بيت عريق في الحسب والنسب فوالده مصطفى عاصم بك وجده شمس الدين بك القرين الاول

---

(١) معروفة في اللغات الاوربية باسم Rodosto بلدة صغيرة على بحر مرمرة تبعد عن الاستانه بنحو ١٢٧ كم وهي مركز اقليم (تكفور طاغ) الملحق بولاية ادرنه

لجلالة السلطان سليم الثالث ووالد جده القبطان أحمد راتب باشا من نوابغ الشعراء ووالد هذا طوبال عثمان باشا الصدر الاعظم المشهور . على أن طيب أرومة هذا الرجل لاتزيد شيئا فى تعريف فضله ولو فرضنا أنه من أصل دنيء لكان كفئا لاكتساب

الفخر والمجد بجده واجتهاده   وايراثهما لاعقاب أعقابه

ولما ترعرع دخل مدرسة (بايزيد) فقضى فيها بضع سنين ثم انتظم فى سلك تلامذة مدرسة (الوالدة) لكنه لم يمكث فيها الا بضعة أشهر فخرج منها سنة ١٢٦٨ هـ . وهو فى الثانيةعشرة من عمره فقضت الاحوال أن يسير والده بمهمة الى (قارصة) فلم يعد يستطيع مزاولة الدرس وذلك دليل علي ان ما اشتهر به بعد ذلك من العلم والفضل انما بلغ اليه بالجد والاجتهاد من تلقاء نفسه ، لا بواسطة المدارس وأول ماجال فى خاطره وأخذ بمجامع قلبه فى ابان شبابه الشعر فنظم القصائد الحسان وكان أهل الاستانة يتناقلون أقواله ويتمثلون بها ويتحدثون بذكائه وظرفه حتى لقبوه « نامق » وأول شعر اشتهر به قصيدة نظمها وهو فى السابعة عشر

من عمره قال فى مطلقها :

ظهوراتك كثرتي پرتو نور خداوندر

تلون هيئت أشياد تأثير ضياوندر

معناه . « إن للكثرة (ربما يريد الجماعة والاتحاد) لونا أو شكلا حاصلا من انعكاس نور الله كما أنها ألوان الاشياء فى الطبيعة ناتجة عن انعكاس نور الشمس » .

وسار كمال بك فى نسق شعره على خطوات الشاعرين التركيين المفلقين (نفعي وفهيم) فبلغ من ذلك شأوا عظيما ونبغ بالاشعار الحماسية والفخرية من قوله فى الفخر

بزاول عالى همم أربا ب جد واجتهاد زكيم

جها نكيرانه بردولت جيقا ردق برعشير تدن

معناه : « نحن الالى نشأنا من عشيرة صغيرة وبجدنا واجتهادنا أنشأنا دولة عظمى فتحت العالم »

وفي سنة ١٢٧٧ هـ تولى تحرير جريدة (تصوير أفكار) وكان مع ذلك يزاول الترجمة فى الباب العالي ومن هذا التاريخ أخذت أفكاره

وآراؤه فى الظهور فلم يغادر موضوعا أدبيا أو فلسفيا الا طرقه وأجاد فيه ولقبوه (كمال) بدلا من (نامق) وكانت جريدة تصوير أفكار هذه فاتحة النهضة التركية الحديثة خاضت فى المناظرات الأدبية التي استلفتت انتباه أهل اللسان التركى وأهم تلك المناظرات ماقام بينها وبين جريدة (روزنامهٔ حوادث) وكانت حدا فاصلا بين الانشاء التركي القديم والانشاء الحديث ومن ذلك الحين أخذت الآداب الحديثة في الانتشار هنا وهناك وكثر أشياعها ومدعوها

واتفق اذ ذاك سفر العلامة (شناسي) مؤسس جريدة (تصوير أفكار) الى باريس لدواع اقتضت ذلك فعهد بادارة جريدته الي كمال بك سنة ١٢٨١ هـ وكان فى ريعان الشباب فاعتزل العلم والشعر وانقطع الى السياسة رغما عنه ولا يخفي ما فى ذلك من المشقة مما لا يفلح فيه الا نوابغ الرجال القادرون على تكييف مواهبهم حتى تطابق وظائفهم : ولو اقتصر صاحب الترجمة علي نظم الشعر لبلغ منه مبلغا فاق به نفعى الشاعر الشهير ولكنه لو فعل ذلك مااستطاع ما استطاعه من خدمة وطنه وأمته خدمة كان يسعى فى سبيلها

ليله ونهاره . وجملة القول أن كمال بك اندفع فى ذلك العهد بكليته الى السياسة وعلم الاخلاق وهما ركنا الأدبيات فبث بين أبناء لغته روحا عصرية نشطتهم وفتحت عيونهم وقلوبهم وبعد أن كنت لا ترى بين الأتراك عشرين كاتبا أصبح كتابهم يعدون بالمئات والفضل فى ذلك لصاحب الترجمة فانه هو الذي أحيا فيهم حب العلم وحبب اليهم الأدب بما كان ينشره بين ظهرانيهم أو يشنف به آذانهم من المقالات الرنانة فى تصوير أفكار وغيرها مما قد ألبس اللغة التركية حلة عصرية جديدة

وأول ما نشر من نفثات قلمه رسالة دور استيلا طبعت لأول مرة سنة ١٢٨٣ هـ قال العلامة أبو الضياء : « وقد أملى على فى الساعة الثالثة من الليل فى اليوم الحادى عشر من رمضان المبارك سنة ١٢٨٢ هـ فخبرت به مقدرته على الانشاء فانه أوعز الي أن أتناول القلم والورق ثم أخذ يملى على فقال · « وقتا كه مقدما » فلم أتمالك عن التوقف محتارا فقال ما بالك لا تكتب فقلت لا أعرف حتى الآن عبارة تبتديء بلفظ وقتا كه وكنت أظن أنك تخاطبنى في شأن

من الشؤون فتبسم وقال اكتب ما أقوله لك وستعلم وما زال
على علي وهو يخطر ذهابا وايابا تارة يقف وطورا يطوف غرفة
المنزل حتي انتهت الرسالة فى الساعة العاشرة فجاءت كما قيل «كالفاتحة
مكتوبة على أرز » وما زال ذكرها متغلبا على كل ما كتبه
بعد ذلك . »

ومن مواهبه الخصوصية حدة اللسان وقوة الحجة فانه لم يناظر
كاتبا أو خطيبا الاظهر عليه وأفحمه ومن آثار فضله انه ادخل
الآداب التركية فى دور جديد فقد كان كتاب الأتراك منذ
ستمائة سنة سائرين على خطة واحدة فى آرائهم وانشائهم فجاء كمال
بك فنوع الانشاء تنويعا وهو أساس النسق التركي الحديث :
مما يذكر انه لم يستخدم قلمه للهجو ولا ادخل فى انشائه الفاظا
بذيئة اومعان مخجلة وكان اذا كتب فى المواضيع الدينية مثل
الحقيقة تمثيلا فيها واضحا يفت المطالع وكان يستخدم الفاظا لغوية لم
تألفها العامة لكن كان يسكبها فى قالب يسهل عليهم فهمها
وكان كثير المطالعة دقيق التنقيب والبحث حتى قيل انه لم يغادر

كتابا تركيا او فارسيا مطبوعا او غير مطبوع من مؤلفات الاتراك اوماترجموه عن الالمانية والفرنساوية والانجليزية الا طالعه وتبحر فيه وكان قوى الذاكرة الى حد يفوق التصديق حتى يكاد لاينسي شيئا نظره او سمعه فقد كان يتلو الوفا من الاشعار الفارسية والتركية والعربية والفرنسية وكان متمكنا من الفقه وعلم الكلام مدركا لأكثر المسائل الغامضة المتعلقة بهما وقد طالع علم الحقوق على العلامة الفرنسي الشهير (أميل أفولا) ودرس في الاقتصاد والسياسة أما التاريخ فكان من أكبر علمائه .

اشهر الكتب التي الفها اوترجمها

تراجم الاحوال : ترجمة صلاح الدين الايوبى وترجمة السلطان سليم
والفاتح وأمير نوروز .

القصص والروايات : وطن (١) ، كل نهال ، عاكف بك ، زوالى
جوجق ، انتباه جزعى

رسائل .دوراشتيلا (٢) ، بارقة ظفر ، قانيزه ، حكمة المشوق ! خطاب الى عرفان باشا ، تعليقات على ترجمة به بريزون ، تخريب

---

(١) ما كانت تصدرهذه الرواية حتى ترجمها الى الالمانية هنري هارت وعلقت عليها نبذه جريدة (براينزتاجبلاط) ثم ترجمة الى الروسية والفرنسية واخيرا الى العربية بقلم الاديب الشيخ محي الدين خياط

(٢) ترجمها غيرهذه الترجمة عبد الله افندي مخلص باسم (فاتحة الفتوحات العثمانية وطبعت فى حيفا سنة ١٩١٠ م .

خرابات ، تعقيب خرابات (١) مقدمة جلال ، بها دانش ، منتخبات تصوير افكار ، رؤيا (٢) ———— ...

مقالات متنوعة ظهرت في (تصوير أفكار) و (مخبر) و (حريت) و (عبرت) و (بصيرت) و (حديقة) و (اتحاد) و (صداقت) وغير ذلك من المقالات التي كان يكتبها الى أصدقائه وفيها الحكم الأدبية والفلسفية (٣)

ما ترجمه عن اللغات الاجنبية: شرائط الاجتماع لروسو، روح الشرائع لمونتسكيوا ، بعض كتابات باكوا وفولني وغيرهما وقسم كبير من كتابات كوندرسه تحت عنوان (تاريخ ترقيا

---

(١) مقدمة لاحدي روايته التمثيلية الخالدة (جلال)

(٢) عربها معروف أفندي الرصافي وطبعت في بغداد

(٣) أكثر ذلك منشور في مجموعة أبي الضياء الشهيرة لكنه كان يراسله كثيرا

أفكار بشير)

وكان فى أثناء أعماله هـذه مشتغلا بتأليف التاريخ العثمانى وهو تاريخ مطول بحث فيه عن عظمة الدولة وما مرت بها من الادوار من أول عهـدها الى الآن ؛ له مقـدمة يصح أن تسمى تاريخ الاسلام لانها حوت كل ماوقع للمسلمين من البعثة الى ظهور السلطنة العثمانيه وكل مارافق ذلك من الحوادث فى آسيا وأفريقيا والمقدمه المشار اليها مكتوبة على نحو ألف وخمسمائة فرخ من الورق وفي الختام لايمكننا إيفاء هذا الرجل حقه وتقدير أعماله حق قدرها الا اذا أوتينا بلاغته وفصاحته وذلك ليس لنا فاكتفينا بما تقـدم وكانت وفاته بعلة الخناق الصدري التى لم تمهله أكثر من عشره أيام فتوفاه الله بعـد ظهر اليوم الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة ١٣٠٦ هـ رحمه الله رحمة واسعة

« انتهى عن أبى الضياء »

نبذة من اثاره القلميه

قطعه من مقدمة رسالة الرؤيا

فى مساء اليـوم الرابع عشر من شهر صفر يممت نحو قصر بديع فى بستان جميل على مقربة البحر وهناك جلست في احـدى نوافذه المطلة على البحر وما كدت أستقر فى مجلسى حتى انتشرت جملة من الخيالة فى فضاء مخيلتي وضربت فى جوانب نفسي خـيام من مرارة التفكير وأوجاع التأمل

كان البحر هادئا لطيفا تهب عليه ، بـين آونة وأخرى نسمات خفيفة تعبث بذلك الهدوء فتـكون أمواجا صـغيرة تتثنى بزبدها كانما هي سرب من الطيور البيضاء فى أرض خضراء وكان الهواء جميلا ونسماته عليـلة تـكاد برقتها تشبه قلب المعشوق تجاه حبيبه . أما أوراق الاشجار فـكانت تهتز كلما هبت تلك النسمات فـكانت شبيهة بتموجات طرة غانية اهتزت أوتار قلبها رقـة وشفقة علي أثر الاغانى الى كانت تترنم بها لأجل تنويم طفلها

ثم رميت الشمس بطرفي فاذا هي قد انحدرت نحو المغرب بعد أن مزقت ما في طريقها من أستار السحب .

وقفت أتأمل ذلك المنظر خاشعاً وقد شبهت الشمس حينذاك أرجل قوس الدهر بناء مجده بعد عز وسؤدد فأخذ يجر أذيال الدعة والخمول نحو العزلة والسكون . وغابت الشمس بعد ذلك عن الانظار فتلونت الأرض بصبغة انقباض غريبة التاع لها فؤادي حتى لم يبق بعد ذلك من نور ضيائها الأحمرة تصح أن تكون مثالا للدم الممزوج بالدموع الجارية من عين اليتيم ، فازدادت بذلك الدهشة وعم المكان وحشة كالتي تخفر القبور .

ذهبت الطيور فارة الى آجامها وعادت الشحارير الى أوكارها ثم هدأت الأصوات وخفتت الأنفاس وعقب ذلك سمعت تغريد بلبلين من ناحية البر . واعتراني بعد ذلك ذهول وأخذ ناقوس قلبي يدق ثم انسدلت ستور الظلام بين نظري والمرئيات ، فصرت أرى الاشياء متشحة بالسواد مرتدية بالقتام . نظرت خلسة الى

تلك الاشجار التي كنت أتفيأ بظلالها فاذا الظلام صيرها كالغيلان المنتشرة في المهامه والقفار .

نظرت الى وجه الارض فخيل لى كأنما انكمش فى داخله، أو كأنما ظلمات القبور خرجت الى سطحه وانتشرت فى الفضاء كأنما يد الموت قد أخذ يطوف لابسا ملابس الحداد .

كأنما يد القهار قبضت على هذه الارض فرمت بها في مهاوي العدم ومدارج النسيان .

أو كأن الدماء التى سفكتها سيوف الظلم من شهداء الحرية انصبت فى هيئة بحر ثم جمدت فانتصبت قائمة على سطح البحر .

أردت بعد ذلك أن أجيل الطرف أكثر غير أن النظر لم يعلق بشيء من المرئيات لشدة ذهولى وكثرة التباسي فاطرقت عندئذ مناجياً ربي هامساً فى آذان نفسى بهذه الكلمات :

« رباه ! كم من مظلوم يهدر دمه تحت ستار هذا الظلام ولا يراه أحد سواك ! وكم من غدار يفتك بمئات من المظلومين ولا يعلم به أحد غيرك ! وكم يتيم تفيض عيناه بدموع الحزن والأسي

ولا ينظره الاّك ! ثم كم مظلوم تهضم حقوقه فيستغيث ولا يسمعه أحد عداك ! ..... »

(قطعة من رواية انتباه) (١)

ان المرء مهما ائتلفت نفسه بلذائذ الحياة الحضرية فلا يستطيع أن يخمد مافى نفسه من النزوع الي حالة بداوته الاولى ، فمن منا لا يذوب وجداً الى تلك الساعة التي يجد نفسه فيها فوق بساط سندسى من الأعشاب ، تحته ظلال شجرة مورقة وعلى مقربة منه غدير صافي المياه ينساب بهدوء وحلاوة ؟ من منا لا يفضل هذه المناظر على كل الملاهى التى تضمها جدران المنازل وأسوار المدن ؟ وأى قلب بشرى لا يود الهروب من هواء المدن الملوث ومناظره المتكررة على نسق واحد ، ليرمي بنفسه فى أحضان الخلوات ، حيث النسيم عليل والهواء بليل ؟ بل أى عين بشرية لا تود أن تتمتع بمثات الألوان البليغة الموجودة علي اختلاف أنواعها فى

---

(١) كان اسمها فى الاصل (صوك پيشمانلق) أى ساعة الندم الاخيرة الا أن قلم الرقابة غير هذا الاسم وجعله (انتباه)

فسيح الخلوات ؟

كل هـذه الصفات التي ذكرناها مجملا والتي يشترك فيها أصناف الناس كافة ، كان يتصف بها بلاريب بطل الرواية على بك أيضاً .

خطاب مرسل من (كمال بك) الى مسيحي اسمه (غوركي) بمناسبة اكتتابه بمبلغ ١٠٠ ريال تدفع سنوياً لمشروع تأسيس المدارس الابتدائية التي بدأ بتنفيذها كمال بك أيام كان متصرفاً في مديللي .

مواطني العزيز .

قد طالعت بمزيد السرور المكتوب الوطني المرسل لحضرة صاحب الفضيلة ناظر الجمعية .

ما أجمل قول الذين أطلقوا على الوطن اسم (الام) . إن الوطن في الحقيقة أم تربي أولادها في حضن حماها وتغذيهم بمحصولها الطبيعي فهل توجد صفة أليق من أن نسميها نحن ، أولاد تلك الأم باسم اخوان الوطن ؟ لكن لماذا ياترى لايعرف أكثر الناس قيمة تلك الأم الشفوقة ولا يقدرون تلك الأخوة حق قدرها ؟

ذلك ناشيء بلا ريب عن جهلهم بالأمور وقلة ادراكهم لحقائق الاشياء.

أنظر الى الحكمة الآلهية وخفى ألطاف الذات الصمدانية.

كيف أن الجهل ، العدو الألد للانسانية ؛ ذلك الذي دك صروح أكبر الأمم وتغلب على مشاهير الفاتحين الذين دوخوا الممالك والاقيال وساق كبار الحكماء الى كثير من الخطايا والآثام ، ينهزم أمام شرذمة من الاطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة والسادسة ؛ في وداعة كودعة الحمل ، يعاونهم فى مهمتهم أساتذة مسالمون محظور عليهم حتى حمل العصي .

أدهشتنا هذه الحكمة الآلهية ، فتوسلنا بها الى تدمير حصون الجهل وعملنا على جمع كلمة ابناء الوطن وبث روح الاخاء بين النشىء ، لنصل بذلك الى اسعاد الوطن واحلاله المقام اللائق به قدر المستطاع ، وهذا هو السر فى تأسيس جمعيتنا .

إن العدل الآلهى لهو فى جانب حسن النية على الدوام ، فقد شاهدنا هذه الحقيقة رأي العين ، اذ لم يمض على المشروع ثمانية أشهر حتى وضعنا أساس عشرين مكتباً وقدتم أهمها . بذلك توفقنا

الي ارسال قبس من نور العرفان الى أذهان الصبيه الجاهلين مبادىء التهجئة وقد أصبح اليوم احدهم يستطيع القراءة والكتابة بلسان معقد كالتركية. ومن المحتمل بل المؤكد أن يظهر للمشروع آثار ذات بال اكثر مما نؤمل. من الواضح أن الأحفاد النجباء لتلك الامة العثمانية العظيمة التي كان لها فضل كبير واياد عظيمة على العالم المتمدن لم تذهب ملكاتهم الأصلية ويضيع ذكاؤهم الفطري بعد.

اننا اذا مانسجنا على هذا المنوال وتكاتفنا في السعي والعمل وقدمنا العلم على الجهل والمصلحة العامة على المنفعة الذاتية، اذ فعلنا كل ذلك فلا يمضي زمن كبير حتى نرى صغار الوطن مزودين بنور العلم والعرفان، الأمر الذي يمهد السبيل لارجاع الدولة الى مكانتها السابقة من الشهرة والامتياز

وليس على الله بمستحيل ان تشرق شمس المعارف من مشرقها مرة ثانية، بل إن ذلك اكثر ملاءمة للطبيعة، واذا لم يتيسر لنا نحن رؤية تلك الأنوار الساطعة فقد يراها أحفادنا في الغد، وفي ذلك من التعزية مافيه

عند ما بدأنا فى العمل كانت امالنا موجهة نحو مواطنينا الآخرين من أصحاب النحل والمذاهب الأخرى، وهذا الأمل باق حتى اليوم ، لا بل كبر ونماوهمتكم كانت من أكبر البواعث على تنمية هذا الأمل

وتفضلوا بقبول الاحترام الأكيد والمحبة الخالصة .



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

كان نور الدول الاسلامية فى المشرق يخبو ، وكانت شمس الاسلام التى تألقت زمناً ما فى سماء المغرب قد أصابها ظلم أهل الصليب وقد أخذت في الغرور . وكان سيل التتر يتدفق حتى وصل مياه الفرات بعد أن اكتسح كل ما صادفه فى سبيله من آثار الحضارة والعمران

فى مثل ذلك الوقت العصيب . وفي تلك الآونة الرهيبة ، كانت العشائر التركية الاسلامية تتسابق فى الفرار أمام تيار هذا السيل الجارف وذلك البلاء الداهم ، قد آثروا هجر الديار وتخلية الأوطان على حياة الذل والخضوع والاستعباد ومن هذه العشائر قبيلة صغيرة نفرت مع غيرها من القبائل الفارة وما زالت فى حل وترحال حتى وصلت آسيا الصغرى حيث ألقت عصا التيار فى ناحية سكود (١) وعددها وقتئذ لا يزيد على بضعة آلاف

---

(١) مدينة صغيرة فى ولاية خداوندكار واقعة فى الجنوب الشرقى من مدينة بروسه على بعد ١٠٠ كم منها .

من النفوس ، تلك القبيلة هي التى نشأت منها الدولة العثمانية

إن بناء هذه السلطنة قائم فى مكانه حتى اليوم منذ ستمائة عام رغم زلازل الحوادث وعواصف التقلبات . وإن هذا الصرح الممرد الذي شيدته أيدى قبيلة صغيرة العدد ، ما كان يستطيع الثبات ، لولا أنه أسس على دعائم الاقدام والسعى تارة بتدمير الخصم وطوراً باصلاح بناء الملك

لامشاحة فى ان قوة الدولة يومئذ كانت ضئيلة . ولكننا اذا أنعمنا النظر فى حالة الدول المجاورة لها الى ذلك العهد نجد من جهة أن ملوك الطوائف القائمين على انقاض الدولة السلجوقية (١)

---

(١) السلاجقة نسبة الى سلجوق الجد الاعلى لملوك السلاجقة . كان رئيس احدي القبائل التركية وقد حارب فيما وراء النهر متحدا مع ولديه اسرائيل وميكائيل ضد القبائل الغير اسلامية واكتسب من وراء تلك الغزوات شهرة واسعة وثروة طائلة . وكان ذلك فى أواخر القرن الرابع للهجرة ثم عبر الجيحون بمساعدة السلطان محمود الغزنوى واستوطن جهات نسا وابيورد والسلاجقة هم أولاد سلجوق هذا ؛ استفحل نفوذهم واشتد سلطانهم فى جهات خراسان وما وراء النهر وخوارزم وتغلبوا على الغزنويين وأسسوا دولة مترامية الاطراف تشيعت فى بلاد الروم والكرمان

لم يكن فى استطاعتهم الوقوف فى سبيل نمو تلك الشجرة الفتية الآخذة بأسباب القوة والحياة . ثم نرى من جهة أخرى أن الأمبراطورية الشرقية ، وهى البقية الباقية من تلك القلعة العظيمة المتداعية للسقوط ، لم يكن في امكانها أن تقاوم هجمات أمثال أولئك الصناديد الذين جمع الدين كلمتهم ووحد ميولهم وأغراضهم .

نشأ العثمانيون فى زمن كانت قلاع الاستقلال فيه لا تسلم من تعرض الاعادي وتجاوزهم مالم تترع خنادقها بدماء المدافعين ، ومع ذلك فان الحروب فى تلك الايام لم يكن شأنها قاصراً على التخريب والتدمير ، وانما كانت أيضاً من أكبر الوسائل المؤدية الى استعلاء كلمة الأمة الغالبة واستبحار العمران في امصارها ، لان الفائدة التى تعود على الامة من الغنائم والاسلاب كانت تربو بأضعاف مضاعفة على مايصيبها من نقص الانفس وضياع الاموال .

في مثل ذلك الوقت اعنى فى صدر القرن السابع للهجرة رفع

ثم انقسمت الى ثلاثة دول عظيمة : سلاجقة بلاد الايران، وسلاجقة بلاد الروم وسلاجقة الكرمان . والمؤلف انما يعنى سلاجقة بلاد الروم الذين اسسوا لهم دولة عظيمة فى بلاد الاناضول استمرت نحو قرنين من الزمان.

السلطان عثمان (١) الغازى لواء سلطنته على برج الاستقلال بعد أن حكم مدة من الزمان وهو (بك) أمير .

ذلك اللواء ، لواء السلطنة الذى رفعه السلطان عثمان ، كان هلالاً مشيداً إلى ماسيحدث من الامور الخطيرة في افق الحوادث بل هو براعة استهلال لذلك السيف المتألق الذى أشرق نوره على كتائب الاعداء وجحافل الخصوم .

ان هذا السلطان العالى الهمة مات بعد أن وضع بيده الكريمة وبمعونة بضعة آلاف من أعوانه الشجعان ، أساس دولة عظيمة الشان ، مخلداً اسمه المجيد فى هذه الدار الفانية ، ذلك الاسم العثماني هو عنوان فخارنا اليوم .

رباه ماأجل ذكري هذا الاسم في ثناياالصدور وطيات القلوب

ان كلمة (عثمانى) لو ذكرت بمفردها لتبادر الى الذهن مجموعة من المعانى الجليلة التى تزين جيد الانسانية . درتان فقط فى تلك

---

(١) ولد عثمان سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وفى سنة ٦٥٩ هـ (١٢٠٠) استعقل بالامارة بعد أن قضى المغول على دولة السلاجقة وفوفى ٧٢٦ هـ ٦ (١٢٣).

السلسلة المعنوية تمتازان بالضياء والبهاء هما : المروءة والشجاعة

أما خلفه فهو السلطان أورخان (١) ، ذلك الذي زعزع أركان بروسة (٢) فى أول حملة من حملاته وجعلها مقراً لسرير ملكه همة هذا السلطان كانت منصرفة الى توسيع رقعة البلاد الاسلامية وكانت جيوشه مزودة بالتجارب الشخصية والمزايا الحربية الجمة أينما سارت رددت أهازيج الشجاعة وأناشيد الفخار ، وحيثما توجهت تفتحت أمامها ابواب الظفر والانتصار .

كانت الناس تتلقي أوامر هذا الجيش بالسمع والطاعة قبل ان تبصر بريق حرابه ولمعان سيوفه وذلك لبعد صيته وذيوع شهرته

---

(١) حكم من ٧٢٦ ه الى (٧٦١ – ١٣٥٩ م)

(٢) فتحها أورخان قبيل وفاة أبيه عثمان بمدة وجيزة وفيها دفن السلطان عثمان حسب وصيته . وهى مركز ولاية خداوندكار ، عامرة بالمبانى . آهلة بالسكان اذهى من أشهر بلاد الاناضول وأكبرها قدراً في نظر العثمانيين لأن بها مقابر مؤسسى الدولة العثمانية وقد ظلت عاصمة الدولة حتى فتح القسطنطينية وبعد فتح أدرنة كان السلاطين يقضون معظم ايامهم بها الا أنها ظلت العاصمة الرسمية حتى فتح القسطنطنية

في المعامع والغزوات حتى أن سليمان باشا (١) وهو ولي العهد في ذلك الحين بدأ في فتوحاته في الروملي (٢) بنحو ثمانين فارس فقط .

وقد تولى أمور السياسة في عهده أخوه علاء الدين باشا فخر الكبراء بلا مراء .

تنازل هذا الشهم عن حقوقه في العرش وقبل مسند الصدارة وأدار دفة السياسة بقلب يطفح اخلاصا لأمته وقومه . وقد برهن في أعمال كثيرة على دراية تامة وبعد نظر في الامور وكفاه فخراً أنه أول من أدخل نظام الانكشارية (٣) وأول من أسند الوظائف

---

(١) كان يطلق عنوان (باشا) على أولاد السلاطين ثم جعل عنوانا للوزراء والامراء وأطلق على ولاد السلاطين لقب (چلبي) . أما اليوم أفيلقبون لقب (افندي).

(٢) او (الروم ايلي) اسم أطلقه العثمانيون على الممالك والجهات التي افتتحوها من قارة أوربا ومن الصعب تعيين وتحديد مدلول هذه الكلمة لانها تتغير بتغير فتحوحات العثمانيين في أوربا .

(٣) كانت الدولة تأخذ الاسري من شبان المسيحيين وتلقنهم الدين الاسلامي وتربيهم تربية عسكرية في ثكنات الأنكشارية التي كانت بمثابة دور العلم والفضيلة يومئذ وكان النظام في مبدأ الأمر باختيار الطالب الا أنه صار فيما بعد اجباريا

لطائفة خاصة من الجند ، تتولي تربية أولاد المسيحيين تربية اسلامية عالية وهما أمران كان من شأنهما اكثار النسل وتقوية أركان الدولة .

ثم خلف علاء الدين فى ادارة الامور خير الدين باشا ، ذلك الذي كان في بدء أمره طالب علم ثم وصل الي هذا المركز بأهلية وجدارة اذ كان يعد أستاذ الكل يومئذ فى فن تدبير الممالك .

بمعونة هذين الفاضلين ، اشتد ساعد اورخان وتقوت أسس الدوله عما كانت عليه وأصبحت تستطيع مقاومة أشد الزلازل .

ثم جاء من بعده السلطان مراد الاول (١) وهو وان كان ثالث السلاطين العثمانيين ترتيبا الا انه أولهم رتبة فى تقوية شأن الدولة واعدادها للظهور فى مصاف كبريات الدول .

كانت صحارى الروملي ميدانا لاظهار فضله وتفوقه ، وبنور همته اضاءت كل الجهات الشرقية من اوروبا .

وقد تمكن من رفع لواء النصر فى سبع وثلاثين غزوة خالدة

---

(١) من ٧٦١ ه الى ٧٩٢ ه (١٣٥٩ - ١٣٨٩م)

لطائفة خاصة من الجند ، تتولي تربية أولاد المسيحيين تربية اسلامية عالية وهما أمران كان من شأنهما اكثار النسل وتقوية أركان الدولة .

ثم خلف علاء الدين فى ادارة الامور خير الدين باشا ، ذلك الذي كان في بدء أمره طالب علم ثم وصل الي هذا المركز بأهلية وجدارة اذ كان يعد أستاذ الكل يومئذ فى فن تدبير الممالك .

بمعونة هذين الفاضلين ، اشتد ساعد اورخان وتقوت أسس الدوله عما كانت عليه وأصبحت تستطيع مقاومة أشد الزلازل .

ثم جاء من بعده السلطان مراد الاول (١) وهو وان كان ثالث السلاطين العثمانيين ترتيبا الا انه أولهم رتبة فى تقوية شأن الدولة واعدادها للظهور فى مصاف كبريات الدول .

كانت صحارى الروملي ميدانا لاظهار فضله وتفوقه ، وبنور همته اضاءت كل الجهات الشرقية من اوروبا .

وقد تمكن من رفع لواء النصر فى سبع وثلاثين غزوة خالدة

---

(١) من ٧٦١ ﻫ الى ٧٩٢ ﻫ (١٣٥٩ - ١٣٨٩م)

شنها بهمة عالية تزعزع أركان الراسيات ، وفى مدة وجيزة مدحدود البلاد الاسلامية حتى أقاصى البلقان .

تصادم غير مرة مع أهل التثليث من المجر والصرب والبلغار أولئك الذين جمعوا كلمتهم ووحدوا أمرهم على تفريق جموع أهل التوحيد . وكانت الصدمة التاريخية الكبرى فى صحراء قوصوة (١) الشهيرة ، وهناك انقض عليهم ولى العهد بايزيد كالصاعقة ، ففرق جموعهم وبدد كتائبهم ، الا أن السلطان الغازى مراد أصابته طعنة من يد أثيمة حركها البغض والحسد فاستشهد الغازى لساعته ومثل

---

(١) لما كان السلطان مراد يحارب أميرقرمان كان معه كتيبته من عساكر الصرب تمادت فى السلب والنهب نقتلها ولذلك حنق عليه ملك الصرب، واخذ فى تحريض دول النصاري على الدولة فاجتمع لديه جيش مؤلف من مائة الف محارب والتحق به كتيب من الملوك المجاورين واتجهوا جميعا نحو الممالك العثمانية وكان السلطان فى (فلبه) يراقب حركاتهم فلما دخلوا البلاد العثمانية طار اليهم بجيشه والتقى بهم في صحراء قوصوة وهناك اشتبك معهم فى معركة طويلة انجلت عن انكسارهم وانتصاره انتصاراً مبيناً و بينما كان السلطان يتفقد الجرحى فاجأه رجل من جرحي الصرب بطعنة خنجر فقضى عليه بها.

ذلك كان المؤسسون فى دولتنا يفنون أجسامهم في سبيل احياء أمتهم ولو دققنا النظر لوجدنا أن كل شبر من أديم وطننا مقبرة لجزء من أجساد شهدانا .

أما العدو فلم يستفد من فعلته الشنعاء وغدره الذميم أكثر من نشر أسباب الحزن والأسى بين أفراد العثمانيين ، لأن السلطان بايزيد الملقب بالصاعقة أصبح سلطان العثمانيين منذ الساعة التى استشهد فيها مراد الاول .

والسلطان بايزيد هو ذلك السلطان الذي انقض على بنيان أعدائه فزلزل أركانه من أول صدمة وبعد أن أخضع بلغاريا ومكدونيا طار الى الجنوب فوصل كثيراً من أطراف البلاد الاسلامية ومزجها بالعنصر العثمانى ثم لم يلبث ان قفز كالشرارة الى ساحل الطونة واصطلم ركنا كبيرا من الجيوش المتحدة لاهل الصليب ذلك الاتحاد الذى ضم بين كتائبه كثيرا من فرسان المجر

---

(١) (٧٩٢ـ ٨٠٥ هـ : ١٣٨٩ - ١٤٠٢ م)

واللهستان (١) وفرنسا .

ان القسطنطينية نفسها لم تسلم من هجماته بل حاصرها وأرغم الامبراطور دفع جزية سنوية . وقد وجد أن المجال ضيق أمامه فى الاقاليم العثمانية . فصرف همته الى توسيع الملك خارجا الا أن النزهة وحدة الطبع كانا قد أديابه الي اخلال إدارة الأمور فى داخل البلاد ، وفي هذا الحين وقف تيمور لنك فى سبيله وصده عن غرضه .

قد كان من المحتمل أن يغلب تيمور أيضا على أمره إلا أن قوة بايزيد قد تلاشت قبل أن يقابل خصمه وبذلك فشل في الحرب معه وانطفأت تلك الشعلة النارية الملتهبة .

قد يأخذ بعض النقاد على بايزيد أنه لم يعبأ ببأس تيمورلنك ولم يقدره حق قدره ، إلا أن هذه الغلطة لاتشوه صحيفة محاسنه ، إذ من العبث أن يظن المرء بوجوب انقياد بايزيد لحكم متغلب وهو هو سلطان تلك الامة المشهورة باقدامها فى الحروب وله من جيشه المدرب أكبر باعث على الاغترار بنفسه والاعتداء بقوته وأى أمير أوحاكم اخضع لامر تيمور وخضع لسلطان

---

(١) اللهستان هى بولونيا

قوته بمحض اختباره حتى نتخيل أنه كان من الامكان أن يرضي بايزيدبذلك ؟ وهل كان بايزيد أقل شأنا من أمراء العشائر الذين قاوموا تيمور حتى نرميه بالجهل والغرور إذا هو دافع عن كيان أمته ؟ اننا لو انعمنا النظر لوجدنا أن تيمور مدفوع الى السلب وشن الغارات ليشبع بطون تلك الوحوش وتلك الحشرات العديدة التي كانت ملتفة حوله ومعلوم أن الممالك العثمانية وقتئذ كنز ثمين مملوء بالغنائم والاسلاب ، فمهما بذل بايزيد من الرعاية والالتفات لتيمور بل حتى الطاعة والخضوع فالحرب بينهما كانت واقعة لامحالة ومع ذلك فقد كان لهذه الضربة التيمورية نتائج ذات بال افادت الدولة ونفعتها ايما نفع ، ذلك لان أوائل حكم بايزيد كانت أيام سطوة وجبروت أدت بالدولة الى الخروج عن دائرة الاعتدال فأختل تبعا لذلك دولاب الادارة نوعا ما ؟ فكأنما هذه الضربة التيمورية نبهت أعصاب الدولة وارجعتها الي اعتدالها السابق .

*
* *

وبعد موت بايزيد أخذ أولاده يقتتلون بغية الحصول على سرير الملك : كل يريد لنفسه ، غير انهم لم ينالوا غير خيبة الآمال

نظرا لبعدهم عن محجة الكمال ودائرة العقل (١) اللهم الا السلطان محمد الاول، أصغرهم سنا وأكبرهم لياقة .

يعد هذا السلطان (٢) المؤسس الثاني للدولة ، فقد أدرك وهو في جبال آماسيه ، يحيط به نفر قليل من الاتباع والأعوان ، حرج الحالة وما يحتاجه الأمر من التبديد وأعمال الروية ، فهب من مكمنه معتمدا على سيف العزيمة وزج بنفسه في ميدان العمل وصال فيه بهمة الشبان وحكمة الشيوخ ، فلم يمض الكثير حتى لم شعث

---

(١) وتعرف هذه الحادثة في تاريخ الدولة بعهد الفزولان لان السلطان بايزيد توفي عن خمسة أولاد وهم (سليمان چلبي) و (محمد چلبي) و (عيسى چلبي) و (موسى چلبي) و (مصطفى چلبي) وكان اكبرهم سليمان چلبي الذى توجه بعد هزيمة أبيه في موقعة انقره الى ادرنه وجلس على سرير الملك مكان ابيه وذهب محمد چلبي الى آماسيه وظل عيسى يتجول حوالى بورسه وكان موسى اسر مع والده اما مصطفى ففقد ولم يعلم مكانه وعند وفاة بايزيد عين تيمورلنك (موسى) ملكا مكان ابيه في بورسه فسار اليه سليمان فهزمه الا ان موسى لم يفتأ يطالب بالعرش واستنجد بامير الافلاق فمده بالجنود وحاصر ادرنه وظفر باخيه وكان في طبعه خشونة سببت انصراف الامراء من حول عرشه والالتفاف حول (محمد چلبي) في اماسيه وحضه على قتال اخيه فسار اليه وظفر به وتم له الامر واصبحت البلاد في قبضة سلطان واحد بعد اشرافها على الفناء بسبب هذه الفتن .

(٢) حكم السلطان محمد من ٨١٦ الى ٨٢٤ هـ اي من ١٤١٣ الى ١

الدولة وجمع فى قبضة ارادته ما تفرق من أجزائها ، مصلحاً ما أفسدته الفتن التى حدثت بينه وبين اخوته قبل خلوص الملك له ثم أخضع لسيف سطوته البوسنه والصرب وصار العلم العثمانى لا يخفق على أبراج النصر بل فحسب ، بل قد صار يخفق فى طول البحار وعرضها أيضا .

ومن الجدير بالذكر أن تلك الضربة لو أصابت نحر أمة عظيمة الشأن عمرت طويلا ونشرت نفوذها وسلطانها على بقاع كثيرة ، ما كان لها أن تتحملها ، فما بالك بالأمم الصغيرة التى هي في مبتدي نشأتها ونموها . وان بعض الباحثين فى العلل التى تنتاب الأمم يقولون بوجود عمر طبيعى لكل أمة لا تتحداه ولكن آل عثمان هم أول من بدد هذه الامم ، وما سلاطينهم الا سلسلة براهين تدحض هذه الدعوى ، مقدمتها الكبرى هو السلطان محمد الاول

***

أما ابنه السلطان مراد الثانى (١) فقد قرن الى همة الحاكم قناعة الحكيم وبطل سيفه فى ميدان الجهاد نشر أحكام القرآن الجليل فى ربوع مورة التى هى مركز الحكمة اليونانية . وبهمته العالية

---

(١) ٨٢٤ — ٨٥٥ هـ : ١٤٢١ — ١٤٥١ م .

أرغم كذلك أمراء البوسنة والألبان على دفع الجزية . وبعد ذلك وجه همة عزيمته الى جهاد النفس ورياضتها فاعتزل الملك بمحض اختياره وتنازل عن تاج السلطنة لابنه السلطان محمد الثانى ، ذلك التاج الذى يجعل الولد عدو أبيه ويدفع الأخ الي الشرب من دماء أخيه . ما وصل خبر ذلك الي مسامع الاعداء حتى استمدوا لاغتنام الفرصة من صغر سن محمد الثانى ففزع أركان الدولة الى مراد ثانية واضطروه الي الرجوع الى العرش بحجه أن ابنه لم تحنكه التجارب بعد . وكانت خاتمة مآثره معركتى (وارنه) و (قوصية) الخالدين

***

ما كاد السلطان محمد الثانى (١) يجلس على سرير الملك ثانية حتى مد يمناه فسخر الممالك وقهر الاعادى ثم مد يسار همته فنشر العلوم والمعارف وبذلك أعلى شأن السيف كما وفى القلم حقه .

لمزيد شجاعته كان يلقب بالفاتح ، ولرغبته فى السمو والكمال جعل عاصمة الملك بمثابة مدرسة جامعة يهرع اليها طلاب العلوم والفنون من كل صوب وناحية .

ما سلم الوزراء والامراء قط من لطيف عتابه وصارم عقابه

---

(١) تولى من ٨٥٥ – ٨٨٦ ﻫ – ١٤٥١ – ١٤٨١ م

لحدة طبعه وعصبية مزاجه ، غير أنه كثيرا ما كان يتنازل الى توقير العلماء وتقبيل ايديهم وهو هو ذلك السلطان العظيم القدر الذى تأبى همته الا اخضاع السلاطين لحكم سيفه . وبينما كانت همته العالية لاتقنع بلقب (الفاتح) ، فكثيرا ما كان يرضى من أستاذه أن يناديه ! يامحمد فقط .

وان تكلمه بلغات ست (١) وادراكه جملة من المسائل الغامضة فى فنون شتى برهان جلى على علمه وفضله .

كان يسير فى طليعة الجيش ويبتكر المدهشات من الاعمال كتسيير السفن برا وبمثل هذه الهمم الشم نال ذلك النصر العظيم والفتح المبين ، وبسيفه المحمدي نشر دين محمد(صلى الله عليه وسلم) فى ربوع القسطنطينية التى هى اليوم مركز قوميتنا .

أما أعداؤه فقد قهرهم حيثما تقابل معهم.شمالا وجنوبا ، وشرقا وغربا .

توجه شرقا الى طرابزون وهناك حمل على حكومتها ، وهي أحدي بقايا الدولة الامبراطورية الشرقية ، فبددها بصدمة واحدة وبهجمة أخري من هجماته الصادقة اخضع الطاغية (أوزون

---

(١) كان يعرف التركية والعربية والفارسية والعبرية والروسية واللاتينية

حسن) لسيف سطوته

وجه عزيمته بعد ذلك الى الغرب ، فمد حدود المملكة العثمانية الى أن وصلت سواحل المورة والبندقية . أما فى البحر فقد أدخل فى دائرة نفوذه كثيرا من جزائر البحر الابيض ثم استولى على الكثير من بلاد كرواتيا والبغدان والافلاخ بعد أن كانت تدفع الجزية فقط لسلفه بايزيد

أما غزواته فى الجنوب فقد انتجت محوا مارة القرم وضم أجزاء جديدة من البلاد الاسلامية

كان اذا ابتعد عن سرير ملكه استولى القلق على أمراء الممالك المجاورة له ، فاذا ماخرج من عاصمته غازيا فزعت مصر وارتعدت ايطاليا من الخوف والهلع . أما من جهة العلوم والمعارف فعصره معدود من أزهى العصور .

ثم خلفه السلطان بايزيد الثانى (١) وهو المشهور بتهذيب أخيه الأمير جم (٢) الشهير

انتصر هذا السلطان فى حروب كثيرة شنها على أطراف مملكة مصر وعلى البوسنة وكروانيا والبغدان الا أن القوة العزيزية

---

(١) تولى من ٨٨٦ - ٩١٨ هـ : ١٤٨١ - ١٥١٢ م

(٢) كان بايزيد اول من سمع بموت ابيه فسارع الى الانكشاريه

للدولة كانت آخذة في الضعف والفتور . وكان ميل السلطان الى الراحة واعتزال العمل قد تغلب عليه فرغب فى النزول عن العرش لابنه السلطان احمد ، غير أن ذلك لم يرق فى عين سليم فنشط من عقاله وهب يدافع عن حقه مدافعة الابطال فلم يمض زمن حتى تحصل بقوة السيف على تاج هو يلبسه أجدر . وهذه المقاومة التى أبداها سليم للحصول على عرش أبيه أثارت كامن غيرة الأمة ونشاطها وأذكت ماتحت الرماد من النار ثم اندلع لهيب تلك النار الى أطراف الدولة فصيرها حفرة من جحيم .

كان السلطان سليم (١) اكثر سلاطين آل عثمان هيبة وأشدهم بأسا ، لم يتمكن المنافقون في زمنه أن يفلتوا من شراك دهائه وسياسته ، أما المخلصون المتفانون فى سبيل الحق المجاهرون

فرشاهم و بذلك استخلص العرش لنفسه ، ذلك العرش الذى ربما كان يؤول لاخيه (جم) لما اتصف به من البسالة والاقدام وقد حارب جم اخاه بايزيد حولا كاملا ولكنه غلبه في وقعة (يني شهر) ثم لجا الى فرسان رودس ثم سلم بعد عدة سنين الى ملك فرنسا ثم بقى اسيرا عند البابا (انوسنت الثامن) فقبله اسيرا عنده على شرط ان يعطيه بايزيد رشوه سنويه مقابل ذلك على ان البابا الذي يليه وهو (اسكندر بورجا) وهو اسوا البابوات دس لجم السم فمات .

(١) تولى من ٩١٨ - ٩٢٦ هـ : ١٥١٢ — ١٥٢٠ م

بما يعتقدونه صواباً، فقد كان لهم فى مجلس كل أعزاز وأكرام كان لايبالى من تضحيته النفس والنفيس وحتى الاصدقاء والاقرباء مادام ذلك مما يقضيه الواجب . كان يمضى في سبيله بقدم ثابت رغم ماكان ينطبق عليه قوله الحماسى .

بهر جمعيت دلها ست پريشاني ما(١)

وقد ظل طول حياته على هذا المبدأ لم يحد قيد أنملة عما كان يراه الواجب ، ونتائج أعماله برهان واضح على صدق نظره ورجحان رأيه فى كل الأعمال والمهام التى قام بتنفيذها وكان يخيل للناقد أن عمله مشوب بنزعة استبداد الا أن من صفة الحاكم العادل ألا يعبأ بالتقاليد والعادات طالما يعمل فى سبيل المصلحة العامة .

وقد برهن على شجاعته فى غزو بلاد العجم(٢) ، تلك الغزوة التي خاطر فيها بمائة ألف من جنوده العصاة أولئك الذين بلغ من تمردهم أن أطلقوا الرصاص على خيمته. ذهب ليقاتل الشاه اسماعيل الصفوى فى عقر داره غير هياب ولا وجل ،

وكانت قوة الشاه يومئذ تضارع ماكان لتيمور ، أضف الى

---

(١) شطر بيت فارسي من نظم السلطان سليم معناه . ويحيي لقد سدد الكل سهام غضبهم نحوي) (٢) انتصر على الفرس فى موقعة (چالديزن) الخالدة سنة ١٥١٤ وفيها اظهر سليم ثباته وقوة عزمه بعدان قطع هو وجيشه مسافة

ذلك ماكان له من النفوذ الأدبى حتى في نفوس أكابر العلماء من العثمانيين كالقاضيمسكر لانتشار مذهبه فى كثير من الممالك العثمانية

أما مهارته فقد برهن عليها بتسييره جنود الانكشارية، الذين كفوا أيديهم عن محاربة أهل الشيعة ، على حاكم مصر الحائز لقب خادم الحرمين الشريفين

ولا ينسى التاريخ وقفته أمام جنوده العصاة وهو يخاطبهم بقوله .

« سز ايسترسه كزعودت أيدك بن يالكر كيده رم »(١)

والسلطان سليم هو الذى خلع آخر الخلفاء من بنى العباس عن سرير الخلافة وشرف ملوك بني عثمان بهذه الحكمة الدينية الجليلة الشأن . وهو نفسه الذى صير الممالك العثمانية قبلة الاسلام ، باستيلائه على مفاتيح الحرمين.

رباه ماأكبر هذه الهمة العالية ! وكيف يستطيع انسان أن يقوم بمثل هذه الاعمال ذات النتائج الخطيرة فى ثمانية أعوام انقضي نصفها في المناضلة على العرش كان يريد أن يجمع ماتفرق من أجزاء البلاد الاسلامية وأن يعلى كلمة الاسلام بالاستيلاء على جميع سواحل البحر الأبيض الأسوى والأوربي ثم تكوين مملكة عظيمة مترامية

طويلة احرقها الشاه اسماعيل لعرقلة مسير العثمانيين

(١) معنى ذلك (اذاشئتم الرجوع فلكم ذلك اما انا فساذهب بمفردى)

الأطراف ينتهي حدها الغربى عند مضيق جبل طارق غير أن المنية حالت وا أسفاه دون تحقيق هذه الآمال الكبار

ثم جاء دور الحكم للسلطان سليمان(١) القانوني ، أسعد ملوك العثمانيين حظا لامتداد أجله وازدياد الرخاء والعمران فى عهده . وقد لعب السيف والقلم فى أيامه أدواراً هامة جنبا لجنب. وفى عصره وصلت الدولة الي قمة مجدها وذروة كمالها (٢)

ولهذا السلطان اسفار خالدة نحو الشمال بدد فى كل دفعة منها جيوش اوروبا المتحدة فادخل تحت حكمه كثيرا من بلاد المجر وترانسلوانيا حتى عاصمة النمسا لم تسلم من هجماته فقد حاصرها بنفسه بجيش جرار . اما فى الجنوب فقد استولي جيشه الصغير على بلاد اليمن بلا كبير عناء . وذهب نحو الشرق فما رجع حتي عين الحدود بينه وبين الدولة الصفوية التى عظم شانها ، وضم الي سلطته بلاذوان

---

(١) تولى من ٩٢٦ — ٩٧٤ هـ : ١٥٢٠ — ١٥٦٦ م

(٢) بلغت الدولة في ايامه اوج عظمتها فاشتملت فى اوروبا على بلغاريا والروملي (تراقيا ومقدونيا) والصرب والبوسنه والهرسك واليونان والبانيا والافلاخ والبغدان والمجر وترنسلوانيا والقرم وجزر بحر ايجه وفى اسيا الولايات السلجوقية واملاك الدولة البيزنطيه وطرابزون وكردستان وديار بكر وارمينيا وبلاد العرب وسوريا والجزيرة وفى افريقية على مصر والجزائر وتونس .

وبغداد وروان وشروان وتوابعها .

وبينما كان قسم من اسطوله العظيم يصول ويجول تحت قيادة خير الدين باشا الشهير في البحر الابيض مستوليا على الجزر والسواحل كان القسم الآخر من الاسطول يناضل أساطيل البرتغال في مياه الهند تحت امرة سيدي علي .

ومن بين الممالك التي رتعت في ظل حمايته كثير من الممالك الاوروبية فضلا عمن استجار بجواره من ملوك الاسلام . وان كل قنطرة من تلك المباني العظيمة والدور الكبيرة التي استولى عليها بحد الحسام لهي قوس نصر يدل على عظيم بأسه والشأو البعيد التي وصلت اليه الحضارة في عهده .

أما المؤلفات النافعة التي لاقت من لدنه الرعاية والتشجيع فكل صحيفة منها تاريخ للرقي الفكري الذي تم في عصره . ماكان لاحد من ملوك آل عثمان أن يموت على فراش الراحة والدعة وظلت هذه سنة السلاطين حتى أواخر حكم سليمان . أما صفات الامة نفسها حتى ذلك العهد فقد كان يزمنها العفة والورع وقد أظهر أفراد تلك الامة المجيدة للعالم أجمع أنهم ليسوا أقوى الامم في الحسب، وانما من أعرقهم في العلوم والمعارف

أفراد هذه الامة كانوا يبذرون بذور العلم والعدل فى البلاد التي يفتحونها بحد السيف فلا تلبث تلك البلاد حتى تزهر فيها أشجار العلوم بثمار المدنية والعمران .

حقا أن العثمانيين لم يتوسعوا كثيرا في الفتوحات مثل الامم التى استولت على ناصيتى العالم وانما أظهروا فى وقائع كثيرة أنهم اشجع الامم واكثرها بطولة .

الخيل والليل والبيداء تعرفنا والسيف والرمح والقرطاس والقلم

امانهاية هـذا العصر الزاهر فقـد كان بداية عصر الضعف الذى ظهرت اعراضه السيئة بموت سليمان .

كان المـلوك حتى عصر سليمان يهتمون بالمـآل اكثر من عنايتهم بالحال . وكانت آيات الـكمال الظاهرة فى عصر سليمان خالية من روح الاهتمام بالمستقبل .

نعم وضعوا جملة من القوانين لـكثير من فروع الادارة في عهـد سليمان الا أن اكثر من الامور فى زمانه كانت تسير على خلاف القانون الطبعى وبلغ نفوذ السلطان حد الافراط ؟ الأمر الذي سبب ابادة كل الامراء الذين لهم حق المطالبة بالعرش ونجد من جهة أخرى أن السلطان لم يصرف العناية اللازمة لتوسيع الملك من جهة البلاد

الاسلامية المعدودة من الاجزاء الجوهرية للدولة . أضف الى ذلك اختلال النظام القاضى بقبول الأفراد الجديدة فى صفوف الانكشارية وقد كان ذلك من الموارد المهمة لاكثار النسل فى الامة الحاكمة . وقد زاد الطين بلة أن السلاطين بدأوا منذ ذلك العهد بحبس الأوقاف الطائلة على أنفسهم وخاصتهم ، الأمر الذى أدي الى نقصان موارد الخزينة . وقد تغلبت الخلاعة والعادات المرذولة على الطهارة والاخلاق الفاضلة

كان أحد العلماء فى عهد السلطان سليم اذا بدأ الكلام في حضرة السلطان بدأه بقوله عز وجل . « انه لايحب الظالمين » أما فى عهد سليمان فقد كان الخليع الماجن فى مجلس السلطنة يختم كلامه بمثل هذا النظم القيم . « هر كاركه خسرو بكند شرينست » (١)

فكل هذه الأسباب وغيرها مجموعة بعضها الى بعض وقفت حجر عثرة فى سبيل تقدم الأمة واستمرارها فى مدارج الرقي والنجاح .

فى بحثنا عن أسباب رقى الدولة نظرنا الى ذلك من وجهة

---

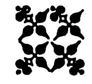
(١) شطر بيت بالفارسية معناه « كل ما يفعله الملك فهو حسن »

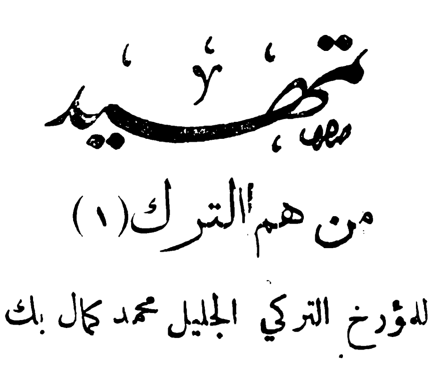
سلاطينها فقط لان أحوال الامة العثمانية كانت مندمجة فى شخص حكامها فلذلك استعضنا عن وصف حالها بتصوير شخصها ولله الامر من قبل ومن بعد

تمت رسالة عهد الفتح واتماما للفائدة قد ذيلناها بتراجم مشاهير أبطال الحرب والسياسة وصورهم

— وهم الغازي مصطفى كمال باشا رئيس الجمهورية التركيه —

وبطل لوزان الجنرال عصمت باشا والقائد العظيم رأفت باشا





تمهيد

من هم الترك (١)

للمؤرخ التركي الجليل محمد كمال بك

الترك قوم من أقدم أقوام أسيا ، وانه ليقف القلم واجادون أن يخط بعض حقائق تاريخية عن أيامهم الاولى ، شأن كل الامم القديمة التي غاب تاريخها في ثنايا العصور الحالكة والدهور المدلهمة وكم يعاني الباحثون عنها منذ أن انبلج فجر التاريخ أشق المصاعب ، وكان مأخذهم الاول منقولات تلك الامم عن الاسلاف ، وقد ظهر من التنقيب عن آثار الماضيين ما يؤيد تلك المنقولات تارة أو ما يغايرها تارة أخري

ومما جاء عن الترك أن قيلهم (أوغوز خان) سيد قبيلة (قابي خان) حكم بلاد الصين قبل ثلاثة أو أربعة آلاف سنة قبل الهجرة وان

---

(١) عن مجلة النيل المصورة . وهي أكبر مجلة مصورة في القطر المصري . رئيس تحريرها وصاحبها فرج افندي سليمان . ادارتها دار المؤيد شارع محمد علي بمصر

(أوغوزخان) هذا كان ملك الاقوام التووانية النازلة غرب أواسط آسيا ، وانه قسم العالم بين أبنائه الستة ، وقد أثبت التاريخ ان الترك في أيامهم الاولي كانوا سكان ما يعرف الآن بالتركستان الصيني والتركستان ولم يستطع التاريخ تعيين زمن نزولهم في هذه الديار الى اليوم تعيينا صحيحا ، غير أن من الامور الثابتة أن قد انقضت سنين طويلة على الصين ، وعواصف غارات الترك وغزواتهم تعصف بهم فتزعجهم أو تدمجهم فى الحكم التركي

وأخيرا خطر للصينيين بناء السد الكبير أو السد الصيني في نحو سنة ٢١٤ م وبقي من بقي خارج هذا السور تحت سلطان الترك ، والترك ينقسمون الى شعبتين كبيرتين ، فمن كان منهم فى فى الجهة الشرقية لبلاد التركستان (هم الاويغوز)ومن كان منهم فى الجهة الغربيه فهم التركمان ، وكان « الاويغوز » أكثر مدنية ولسانهم هو لسان الادب التركى ولهم كتابة خاصة بهم ، غير أن من دخل بلادهم من رهبان النسطوريين أدخلوا عندهم حروف الكتابة السريانية ، ولا يزال يوجد الى اليوم كتب تركية قد كتبت بهذه الحروف ، ومن الغريب ان امبراطورية الصين فى أيامنا انما هم من أحفاد أولئك الترك

وما آتيلا وقومه الهون الذين خرجوا من آسيا وأغاروا على أوروبا حتي أشرفوا على بحر المانش ، وجنكيز خان الذي ملك البلاد الى أواسط بولونيا وبلاد المجر والصرب وبعض البلغار فى أوروبا وجبال القوقاز وماوراء جبال أرارات الى أرضروم غربا ، والى أطراف الهند والهند الصينية وبلوخستان جنوبا ، وبحار الصين بما فيها جزر ينان وفرموزا وسخالين وشبه جزيرة كوريا شرقا ، والي المحيط المنجمد الشمالى شمالا ، ثم هولاكو وتيمورلنك وشاه خوارزم والسلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى وملوك دولة الهند العظمي والدولة السلجوقية الاخري الا من نسل أولئك الترك ،

وقد ثبت أن قد كان لمملكة الصين علاقات سياسية فى العصر السادس للميلاد مع الترك وبالاخص مع أجداد «الاويغوز» أكبر قبائل الترك وأشدهم بأسا وأعزهم سلطانا وأرقاهم مدنية ونظاما ، ولهم قوانين اجتماعية وسياسية كانت أساسا لجميع ما جاء بعدها من الانظمة والقوانين المدنية والعسكرية عند دول الترك الاسلامية وفي سنة ١٠٦٩ م نشر قانون باسم «قوداتقو بيلك» يعني القانون السلطاني أو قانون الامير ويتبادر الي الذهن ان

كلمة « «كود » فى اللغات الاوروبية أصل هذا الاسم

وقد جاء فى وقائع الصين التاريخية سنة ٥٦٩ م ، انّ قدم اليها سفير من قبل ملك الترك ، وقد ذكر كذلك فى تواريخ اليونان أن امبراطور بيزنطية (القسطنطينية) أرسل وفدا أو هيئة سفارة الي ملك (طوركى : الترك)

ومن ذلك يتجلى للمطلع ان الترك منذ عشرين قرنا على الاقل كانوا دولة اصحاب عظمي وملك واسع وسلطان باغ أقصي المعمور يجذب الدول الكبرى شرقا وغربا الى خطب ودها ، وتوثيق أواصر التعارف بينهم وبينها .

وقد ذكر النسابون أنهم من نسل ترك بن جوهر بن يافث بن نوح وزاد بعضهم انه من ولد (تور أو طور) بن فريدون ملك الآرنين العظيم ، وقد حفظ التاريخ كثيرا من وقائع جدهم (افراسياب) مع الفرس بسبب التنازع على تاج مملكة الفرس وذكروا كذلك أن (أوغوزخان) أعظم ملوك الترك الاقدمين كان معاصر النبي الله ابراهيم عليه السلام

ولما كان الغرض الاشارة فقط الي عصور الترك الاولي لا استيعاب تاريخهم ، ذلك التاريخ المفعم بأخطر الوقائع وأشهر الاخبار ، فاني

أكتفى بما قلته . وأشرع فى ذكر شيء من تاريخ الترك ورحلاتهم العديدة من أواسط آسيا الى غربيها بعد الفتح الاسلامي فاقول

لما قامت الدولة العباسية وتسامع سكان الشرق من الترك بما عليه دولة الخلافة العباسية من العظمة واتساع الملك الذى شمل قارتي آسيا وأفريقيا وجنوب أوروبا (أسبانيا وما والاها واستدرواق حكمها فى الهند شرقا الى ساحل المحيط الاكبر غربا تدفقت جماعات من شباب الترك التائقين للوصول الي ذري المجد والفخر والطامعين فى بلوغ أوج المعالى فدخلوا افواجا فى صفوف جند الخلافة العباسية ومنهم من التحقوا بخدمة الامراء والوزراء ولم يلبثوا يسيرا حتى بدت مواهبهم الفطرية . وقابليتهم للقيام بمختلف المهام الدولية بين عسكرية وملكية فملكوا فى اقل من نصف قرن اعنتها من قائد كبير الى وزير خطير الي ولاة وعمال في سائر الاقطار والامصار . فى الحجاز وفارس وخراسان و بلاد الارمن والقوقاز وسوريا وبلاد الروم ومصر . وكان أول من ولي ولاية من الترك قبل الخليفة المتوكل العباسى هو (أحمد بن طولون) سنة ٢٥٥ هجرية . ففتح هذا الوالي باب مصر على مصراعيه للداخلين من الترك . فاعتز بهم واستقل بملك مصر فكانت دولته

أول نواة للممالك التركية التي نبتت فنمت فى أرض مصر فقام فيها على التوالي والتعاقب عدة دول تركية لا تزال آثارهم ماثلة أمام أعين الدهور والعصور

والآن أعود الي الكلام عن الترك فأقول : في سنة ٣٥٠ هـ اعتنق (سارخان) ملك التركمان ابن (طاغ خان) دين الاسلام وتسمى باسم (قره خان) وتبعه قومه . وقام خلفه (بغرا خان) فوسع ممالكه صوب الشرق وفتح بلاد كشغر وقضى على الدولة السامانية فى بخارى وجاء أحمد خان من ملوك الترك بعده فأدخل من بقي من الترك فى دين الاسلام وعم هذا الدين الحنيف. ومن ذلك الحين ازداد قدوم الترك جماعات وفرادى الى بغداد بين طالب علم وطالب مجد وكان لهم فى شؤون الخلافة العباسية أعظم شأن مما ليس هذا كل شرحه وبيانه

اجداد العثمانيين

ان جد (عثمان) مؤسس السلطنة هو الامير (سليمان شاه) بن الامير (قارلو خان) رئيس احدى القبائل المتشعبة من قبيلة (أويغور) السابق ذكرها فى التركستان (بلاد الترك) . ولما ظهر (جنكيز خان) في مدينة (قره قوروم) وسطا بجبروته على جيرانه

وأخضعهم لسلطانه . عبر الامير (سليمان شاه بأهله وقومه نهر جيحون الى خراسان ونزل قرب (ماهان) . ولما تقدم (جنكيزان بجيشه الى تلك الفهات . رحل الامير (سليمان شاه وأوغل فى حتى بلغ (أرزنجان) و (اخلاط) ونزل هناك في خمسين ألف نسمة وذلك في سنة ٦٢١ هجرية

ولما هلك (جنكيز خان) وسكنت العاصفة الهوجاء التى أثارها على معظم قارتي آسيا وأوروبا الشرقية . عزم الامير (سليمان شاه) على العودة الى وطنه بقومه . وبينما كان يعبر نهر الفرات على فرسه سباحة فى مقدمة من معه تحت قلعة (جعبر) غرق فى النهر . فأخرجت جثته ودفن قرب شاطيء الفرات ، ويعرف قبره الى اليوم باسم ترك (مزارى) أي قبر التركي .

وكان للامير (سليمان شاه) أربع بنين عاد منهم الامير (سنقور تلكين) (١) والامير (كون طغدي) (٢) مع من تبعهما من القبيلة الي وطنهم فى الشرق ، وتخلف الاميران (ارطغر أو ارطغرول) (٣) و(دندار) مع اربعمائة عائلة ورحلوا من هناك حتى نزلوا فى مكان

---

(١) سنقول تلكين الصقر عديم المثال

(٢) كون طوغدى (طلع النهار أو اشرقت الشمس الخ)

(٣) أر (السريع) طغرول بضم الطاء (صقر الصيد الابيض)

يقال له (سورمه لى جقور) أي بئر الكحل أو حفرة النحل قرب (سيواس) وصادف نزولهم في هذه الارض انقشاب القتال واشتعال نيران الحرب بين عسكر السلطان علاء الدين السلجوقى وعسكر المغول المغيرين على بلاده فانحاز الامير (أرطغرل) بمن معه من شجعان جماعته الى عسكر السلطان علاء الدين فأتاهم الله النصر وانهزم المغول هزيمة تامة . وكافأ السلطان الامير (ارطغرل) على هذا الصنيع الجميل بأن منحه مصايف (طومانيج) بين (بروسه) و (كوتاهيه) ومشتي « سكود » و « قره جه شهر » وعهد اليه اداره هذه البلاد ودفع غارات الروم عنها وذلك حوالى سنة ٦٢٨ هـ فأصبحت أقطاعا له وكانت قبله لقبيلتى « الآفشار » أو « على شار » وجاودار التركيتين راحتهم غيرانهم كانوا دائما يشاغبون جيرانهم ويزعجون فانبرى لهم الامير « ارطغرل » والزمهم الهدؤ وعيشة السلام

وكان تكفور أي حاكم « قره حصار » الرومي وغيره من حكام المقاطعات المجاورة قد تنيروا من اتساع دائرة نفوذ وسطوة الامير ارطغرل فتصدي تكفور قره حصار لحربه . فسار « ارطغرل » الي « قونيه » وأغرى به السلطان علاء الدين . فعهد اليه قتاله فعاد وقاتله وهزم عسكره وفتح قلعة قره وأسر التكفور المذكور

وأرسل به وبباقي الاسرى مع أخيه الغازي « دندار » الى قونيه وبعد قليل توفي السلطان علاء الدين وخلفه السلطان غياث الدين على عرش السلطنة السلجوقية .

وفي سنة ٦٨٠ هـ توفى الامير ارطغرل وعمره ٩٢ وفى روايه ٩٦ سنة



وخلفه ابنه الغازي عثمان الاول مؤسس الدوله التركيه

وفى زمن حكم السلطان عبدالحميد الثانى أمر فشكلت متصرفيه باسم (سنجاق ارتغرل) ضمن ولاية بروسه تخليدا لذكرى جده الامير (ارتغرل) المذكور ومساحة هذه المتصرفيه (١١٥٠ كيلوا مترا مربعا) وسكانها نحو ١٥٠ ألف نسمة والاكثرية مسلمون والباقون ارمن وروم ولسان أكثرهم التركي وتشتمل على اقضية (بيله جك) و (اينه كول) و (سكود) و (يكى شهر يني شهر) أى المدينة الجديدة . ونواحي (لفكه) و (كفبازارى) و (دومانيج) و (بازارجق) وبكيجه كوى . وبينجه كوي) و (ازنيق) و (يارحصار)

وكانت أول صدمة للامير عثمان مع انجلوكوما تكفور (اينه كول) فى مضيق (ارمنى بوغار) وقد استشهد فى هذه الموقعة الامير (باي خوجه) بن الامير (صار ويأتى سادجى) أخيه :

وبعد سنتين اتفق تكفور (اينه كول) المذكور مع تكفور (قره حصار) وتقدما لقتال الغازى عثمان فأخذهما وعسكرهما بغتة فى ٣٠٠ مقاتل بين فارس وراجل فى مضيق (اكريجه) واستولي على (قولاجه) أو (قزلجه) واستشهد في هذه أخوه (صارو ياتى ساوجي بك) وقبره معروف باسم (قنديللي جام) أى سروة القنديل

وفي سنة ٦٨٣ هـ أسس الغازي عثمان تكفور قره حصار) كما

فعل أبوه الامير (ارطغرل) بسلفه وأرسله الى السلطان غياث الدين مع (آق تيمور) بن أخيه . فاهدي اليه السلطان فى هذه المرة طوغا (وهي ذؤابة من شعر ذنب الخيل كانت تمنح فى الزمن السابق للقواد والوزراء وتحمل بين ايديهم) وعلما ابيض وكوسا وطبلا ومزمارا ونقارة ونفيرا ومهترخانة أي طاقم موسيقى وغيرها . وأرسل اليه منشورا بدأه بالالقاب الآتية وهي (مرزبان عاليجاه عثمان شاه) ومعناه (أمير الحدود عالى الجاه الشاه عثمان) والحق به مقاطعتي (اسكيشهر) واين اوكي (اين اونى)

ومن أهم وأخطر أعمال الامير (عثمان) قراءة الخطبة باسمه فى مدينة قره حصار العاصمة الاولى لملك آل عثمان ومركز القومية التركية العثمانية قرب مدينة (اسكيشهر) وذكر عاشق باشا في تاريخه ان اول رسم أمر السلطان الغازى بفرضه على الاهالي كان وضعه فى سوق (اسكيشهر) ونص ترجمة المرسوم الخاص بذلك هو . (كل من يأتى بحمل الي السوق ويبيعه فليؤدي آقجتين (الاقجه جزء من أربعين من القرش) ومن لايبيع فلا يؤدى شيئا : وكل من أخل بهذا القانون أخل الله بدينه ودنياه) : وكان الفقيه (طورسون) هو الذى قرأ الخطبة . ومع ذلك فقد بقى الغازى (عثمان) على ولائه

للسلطان غياث الدين السلجوقي . ونصب فيها الغازي (عثمان) قاضياً للفصل في الدعاوى بين الناس . وقد ذكر (كمال بك) في تاريخه ان لم يسبق لحاكم دولة اسلامية غير العرب تنصيب قضاة للحكم بين الناس بل كان ذلك منحصرا في ايدي الامراء الى أصغر الدعاوي . ولم يكن للقضاة الى الحكم في الامور المتعلقة بالنكاح

وفي سنة (٦٨٦) ه . حارب الغازي (عثمان) تكفور (اين مغوله) ويقال لها (كالبانوس) وقتله في موقعة (اكريجة) الثانية .

وفي سنة (٦٨٩) ه . استولى على (يكشهر ينيشهر) و(بيله جك) و(كوبر حصار) أي (حصن الجسر) :